البنيويـة: مفهومهـا وأهـم روافدهـا

الأستاذ : عبد القادر رحيم
قسم الآداب و اللغة العربية
جامعة محمد خيضر- بسكرة (الجزائر)

ملخـــص:

قد لا نبالغ إن قلنا إن البنيوية هي أهم منهج نقدي ظهر في العصر الحديث، لذا سنحاول في هذا المقال التعريف بها، وبمؤسسها فرديناند دي سوسير، كما سنشير إلى أهم روافدها، كمدرسة جنييف، والشكلانية الروسية، وحلقة براغ، والمدرسة الفرنسية.

Résumé:

A travers Ferdinand De Saussure , l'école de Genève , le formalisme russe , le cercle de Prague et l'école française, on parlera du structuralisme en tant qu'approche moderne parue au XX^{e} siècle donnant naissance à la critique dite textuelle .

توطـئة:

تستمد البنيوية وجودها من الإرث اللساني المنبثق أساسا عن أفكار العالم السويسري فرديناند دي سوسير (ferdinand de saussure) (1857-1913) مؤسس علم اللسانيات الحديث ، انطلاقا من كتابه الشهير محاضرات في اللسانيات العامة (cours de linguistigue générale) الذي طبع بعد وفاته بثلاث سنوات (1916) بمبادرة من تلميذيه شارل بالي (Ccharle Balles) والبير سيشوهاي (Albere Sechehaye) حيث مثّل هذا الكتاب "نسخة مبكرة من النموذج البنيوي للغة".[1]

استطاع دي سوسير من خلال محاضراته التي ألقاها على طلبته في جامعة جنييف، والتي شكلت فيما بعد مادة كتابه المذكور ،"أن يؤسّس مدرسة لغوية حديثة أصبحت تعد نموذجا رائدا للعلوم الإنسانية وقدرتها على أن تصبح علوما دقيقة تضارع العلوم الطبيعية و الرياضية في خضوعها للمنهج العلمي المضبوط" [2]، وليس يخفى على الدارسين و المهتمين بالحقل اللساني اتكاء أتباع مدرسة جنييف كشارل بالي (CH.bally) والبير سيثوهاي (A.sechehaye) وهنري فراي (H.frei) وروبيرت كوديل (R.codel) على طروحات دي سوسير ، وبخاصة فيما يتعلق بثنائياته ذائعة الصيت ، التي أصبحت فيما بعد منطق التحليل البنيوي و اللساني عند جميع المدارس البنيوية التي تلت هذه المدرسة كالشكلانية الروسية ،وحلقة براغ ،ومدرسة كوبنهاغن ،و المدرسة الأمريكية و أخيرا المدرسة الفرنسية.

وعلى هذا الأساس اجمع النقاد أو كادوا على أن ثنائيات (اللغة و الكلام) و(الدال والمدلول) و(الآنية و الزمانية) و(الاقتران و التركيب) وغيرها من الرؤى اللسانية السوسيرية ،هي التي شكلت المهد الفكري للمنهج البنيوي الذي ترعرع بعد ذلك في أحضان الفكر الشكلاني [3] ، ليصل في الأخير بيّن المعالم إلى المدرسة الفرنسية ، التي احتضنته في ستينيات القرن الماضي ، حيث "شغلت البنيوية حيزا كبيرا في مختلف الظواهر الثقافية في فرنسا"[4] وبذلك أصبحت فرنسا عاصمة للثقافة البنيوية ،وقبلة لأتباع

هذا المنهج ومريديه، ودليل ذلك حضورها اللافت للانتباه في مناح علمية شتى، كأدبيات رولان بارت (Roland Barthes)وانثروبولوجيا ليفي شتراوس (levy-Strauss) ونفسانية جاك لاكان (Jacques Lacan) وحفريات ميشال فوكو التاريخية (Michal Foucault) .

إنّ المتتبّع الواعي لتاريخ البنيوية ، لا يحتاج إلى إطالة نظر في هذا التاريخ حتى يعلم أنها نشأت "في أصلها من خلال تعارضها مع ما سبقها من مدارس ومناهج دون إلغائها،كالماركسية ، والظاهراتية و الوجودية" [5] ،وهذا- لاشك - يثبت أن للبنيوية جذورًا فلسفية تمتد إلى مثالية كانط (kante)، التي" تؤكد على أهمية العلاقات الداخلية للنسق الكامن في كل معرفة علمية ، وتسعى إلى تجاوز المظهر الذي تبدو عليه المعرفة من أجل النفاذ إلى تركيبها الباطن"[6] وهو الأمر ذاته الذي أكدت عليه البنيوية فيما بعد، وبخاصة فيما يتعلق بمصطلحيْ: النسق (البنية) و العلاقات الداخلية ، حيث أصبحا انطلاقا من مقولات دي سوسير عمود الدراسة البنيوية .

هذا ،ولا بأس أن نشير هنا إلى أن بعضا من النقاد ومؤرخي البنيوية يرون خلاف ذلك ، إذ تعد البنيوية في نظرهم "قطيعة مع التقاليد الموروثة عن الفيلسوف الألماني كانط" [7].

ويبدو لي أنّ الأمر قد التبس لدى هؤلاء في هذه المسألة ، إذ لو أمعنوا النظر قليلا لانتبهوا إلى نقطتين مهمّتين تدين بهما البنيوية للفلسفة الكانطية ، وهما على وجه التحديد[8] :

1- محاولة كانط الجادة إضفاء الصبغة العلمية على فلسفته النقدية ،وهذا أمر احتفت به البنيوية كثيرا ، وعدّته أساسها المتين الذي تقوم عليه وتفتخر به .
2- أوّلية البناء (البنية) على الظواهر وتعاقبها (التاريخ)، وهذا ما يمثل إحدى الركائز الهامة للبنيوية .

هذا إضافة إلى ما أكده بول ريكور (Paul Ri Coeur) من أنّ "بنيوية ليفي شتراوس كانطية جديدة" 9 وبخاصة فيما تعلق بتصوره وتفسيره لعملية اكتساب المعرفة انطلاقا من فكرة أن الحواس (أو الحساسية في اصطلاح كانط) هي واسطتنا لمعرفة ظواهر العالم الخارجي *.

هذا بالنسبة إلى الأساس الفلسفي للبنيوية ،أما فيما يتعلق بمنطلقاتها اللسانية وأسسها اللغوية، فإنّ معظم الكتب النقدية التي تصدّت للجانب النظري للبنيوية تشير إلى وجود رافدين مهمين كانا بحق منبع البنيوية ومنطلقها ،أوّلهما محاضرات العالم السويسري فرديناند دي سوسير، التي ألقاها على طلبته في جامعة جنييف بين عامي 1906 و1911 (وقد المحنا إليها سابقا)،وثانيهما إسهامات المدرسة الشكلانية الروسية ** التي اصطنعت لنفسها مكانة خاصة" في مسيرة تطور الدراسات الادبية و النقدية" [10] رغم اصطدامها بالمشروع البلشفي الناشئ آنذاك، الذي "منع أي انحراف - مهما يكن - عن النموذج الماركسي للأدب" [11] مما اضطر مؤسيسها إلى مغادرة روسيا نهائيا و الاستقرار بالعاصمة التشيكية براغ كما فعل جاكوسون ،ونيكولاي تروبتسكووي(*Trubetskoy Nikolay*)، أو العاصمة الفرنسية باريس كما فعل فلادمير بوزنير(Vladimir Pozner) .

و الحديث عن الشكلانية الروسية يدفعنا - لا محالة - إلى التذكير بأن هناك روافد أخرى، أسهمت إسهاما ملحوظا في إثراء المنهج البنيوي و تطوره حتى اكتمل على سوقه في ستينيات القرن الماضي.

ولكنّي سأحاول - قبل الإشارة إلى هذه الروافد البنيوية - أن أعرّف منهجها الذي قامت عليه و تسمت باسمه.

مفهوم البنيوية:

يعترف ميشيل فوكو (Michel Foucault) في محاضرته التي ألقاها بتونس عام 1967 بصعوبة وضع تعريف محدد و دقيق للبنيوية "لاسيما إذا عرفنا أننا نشير بهذا الاسم إلى تحاليل و مناهج و كتب مختلفة"12 ،و رغم هذه الصعوبة التي يشهد بها عالم بحجم ميشيل فوكو (و مكانته في الحقل البنيوي لا يختلف فيها اثنان).إلا أنّني سأحاول أن أحيط ببعض التعاريف التي اضطلعت بالبنيوية، و في مقدمتها التعريف الآتي:

البنيوية " طريقة معينة يتناول بها الباحث المعطيات التي تنتمي إلى حقل معين من حقول المعرفة، بحيث تخضع هذه المعطيات فيما يقول البنيويون – للمعايير العقلية ".13

و يظهر بجلاء من خلال هذا التعريف وجل جون ستروك (John Sturrock) واضطرابه في تحديد مفهوم البنيوية، وذلك من خلال وصفه إياها بـ " الطريقة"، فهي في نظره ليست منهجا ولا مذهبا و لا مدرسة و إنما هي طريقة فحسب ، يمكن الاستئناس بها و الركون إليها في التحليل.

و لا تبتعد هذه الرؤية عن المفهوم الذي يطرحه ميشيل فوكو للبنيوية، حيث عدها "مجموعة من المحاولات التي نقوم بواسطتها بتحليل ما يمكن تسميته بالركام الوثائقي، أي مجموعة العلامات و الآثار و الإشارات التي تركتها الإنسانية في الماضي و الآتي، و التي مازالت تكوّنها يوميا و بعدد متزايد حولها.[14]

ويبدو أن المصطلحات و العبارات الواردة في هذا النص كـ:(الركام الوثائقي) (الآثار) ،(التي تركها الإنسانية) ،(الماضي) ... تشي بأنّ ما يتحدث عنه فوكو هو بنيوية مرتبطة بتحليل الوقائع التاريخية ،أو بتعبير أدق : بالبني المشكّلة لتاريخ المعرفة و الثقافة الإنسانية ،لذلك سُمّيت أعماله النقدية في جملتها بالحرفيات التاريخية .

وأمّا في المفهوم العام ،فإنّ البنيوية منهج نقدي ،أو نشاط فكري" يمضي إلى ما وراء الفلسفة، ويتألف من سلسلة متوالية من العمليات العقلية)[15] ،التي تسعى بتعبير رولان بارت "إلى السيطرة على اللامتناهي من الكلام" [16]بحكم أنها تنطلق أساسا من اللغة التي هي في الأصل مصدر هذا الكلام .

وهي من ناحية أخري "مدرسة فكرية تقوم علي مجموعة من النظريات "17 التي تركز في تحليلها على البنية، بوصفها "الملاذ الأخير لإنعاش الطرح النقدي بعدما أُثقل بخارجيات النص"[18] المتمثلة أساسا في المؤلف والإطارين التاريخي والاجتماعي للكتابة .

وعلى هذا الأساس ،وانطلاقا من الفكرة الأخيرة فإنّ البنيوية ترفض المؤلف وتقتله ،وتدعو الناقد دعوة صريحة – وبعقيدة نيتشوية -إلى التحرر من إسار الذات ومن قيد التاريخ والمعني ،وفي هذا الصدد يقول صاحب المرايا المحدبة "و أما البنيوية الأدبية...فهي ترفض ذلك الربط بين النظام اللغوي الداخلي للنص ،وأية أنظمة أخري خارجية)[19] .

وجدير بالذكر أن لمسالة موت المؤلف – التي استقاها رولان بارت من طروحات نيتشه حول موت الإله – مثالب عدة ،أقلها وطأة في رأي بعض النقاد أن النص يمسي بعد موت صاحبه "لقيطا مجهولا الأصل ، عُثر عليه فجأة تام الخلقة ،واضح المعالم ،وبذلك لا يفرق الناقد البنيوي بين نصِ مبدعٍ متمرسٍ ،وبين محاولة ناشئ في الكتابة، مادام النص يكتب نفسه ،بمعزل عن أرادة مبدعة"[20] بل ويتحول في لحظة قراءته إلى (ذات) حية قائمة بنفسها ، مكتفية ببنياتها ، لاتعروها حاجة إلى ما سواها .

وعليه ،فالبنيوية في ابسط تعاريفها :منهج نقدي محايث ،يقوم على وصف و تحليل العناصر (البني) المكوّنة للنص الأدبي ،بطريقة تتسم بالموضوعية و الصرامة العلمية .

وهنا تجب الإشارة إلى أنّ هذه الخصائص : المحايثة والوصفية (لا التارخية)و الموضوعية و الصرامة العلمية ،هي في الحقيقة مبادئ قارة في البنيوية ،أكّدت عليها معظم المدارس والحلق العلمية التي شكّلت معالم هذا المنهج ،كمدرسة جنيف ،و الشكلانية الروسية ، وحلقة براغ و المدرسة الفرنسية ، وتفصيل ذلك كالأتي :

مدرسة جنيف :

وتسمي أيضا المدرسة السوسيرية نسبة إلى مؤسسها الأول ،العالم السويسري فرديناند دي سوسير (Ferdenand De Saussure) (1857- 1913) صاحب الكتاب الشهير محاضرات في اللسانيات العامة (cours de linguistique générale) الذي هو في الأصل مجموعة محاضرات ألقاها على طلبته في جامعة جنيف بين عامي 1906-1911.

وقد تشكلت هذه المدرسة من أتباع دي سوسير السويسريين من أمثال شارل بالي (charle bally) والبير سيشو هاي (A.sechehay) وهنري فاي(H.frei) وروبرت كوديل(R.codel) 21إضافة إلى الروسي كارسفسكي (karcevakij)، الذي يعزى إليه نقل أراء دي سوسيرالي الجهة الشرقية من العالم ،وذلك بعدما "سافر إلى روسيا سنة 1917 ،وأعلن عن هذه الآراء أمام أعضاء المؤتمر الدولي للسانيات في لاهاي عام 1920،ومنذ ذلك الحين توالت ترجمات تلك المحاضرات إلى لغات شتى في العالم كاليابانية

1928 ،والألمانية 1931 والروسية عام 1933 ، والاسبانية 1945، والانجليزية 1959،والايطالية 1967،و العربية 1985[22]

ولا عجب - بعد كل هذه الترجمات - أن يُنعَت صنيع دي سوسير بالثورة الكوبرنيكية * في مجال الدراسات اللغوية ، وأن تصبح آراؤه اللسانية - وفي مقدمتها تعريفه للغة على أنها"نظام من العلامات التي تعبر عن الأفكار"[23] المنطلق الرئيس الذي انبجست منه الأفكار البنيوية .

هذا وقد عد النقاد لدي سوسير صنيعا آخر لم يسبق إليه ،و هو إشارته إلى مجموعة من الثنائيات ،التي تسمّت بِاسمه (ثنائيات دي سوسير) ،والتي نذكرها - باقتضاب شديد - على النحو الأتي:

1- اللغة والكلام :

اللغة (la langue) في نظر دي سوسير نظام جمعي ، أو (نتاج اجتماعي لملكة اللسان)، [24]أما الكلام فهو التحقيق أو الأداء الفعلي لهذه الملكة .

2- الدال و المدلول :

ميّز دي سوسير في هذه الثنائية بين وجهي العلامة اللغوية ،فعدّ الوجه الأول - وهو الصورة الصوتية للمسمي - دالاً (signifiant) ، وعدّ الوجه الثاني - وهو الصورة الذهنية ،او الفكرة المعبرة عنها - مدلولاً (signifie) ،كما أشار إلى أنّ العلاقة التي تربط الدال بالمدلول هي علاقة اعتباطية (arbitraire) غير مبررة .

3- الآنية و الزمانية :

فأما الآنية (synchronique) فتعني دراسة ظاهرة لغوية ما دراسة وصفية آنية ،أي في لحظة زمنية معينة ،دون الالتفات إلى تطورها التاريخي ، وأما الزمانية (diachronique) فتعني دراسة ظاهرة لغوية ما دراسة تاريخية ترقب تطورها وتغيّرها عبر حقب زمنية مُختلفة.

4- الاقتران التركيب :

تتنازع العلامة اللغوية في انتظامها داخلة الجملة الواحدة علاقتان، علاقة اقتران(**) (associative)وعلاقة تركيب (syntagmatique)

فأما الأولى فتعني انتظام الكلمات "في عقل المتحدث ليختار منها المناسب ويتّخذ الرمز اللغوي مكانه في نظام اللغة من حيث موقعه ،وكل نظام يحدد أدوارا واضحة لعناصره" [25].

وأما الثانية فتعني العلاقة الخطية أو الأفقية أو التجاورية التي تربط مجموعة من الكلمات داخل الجملة الواحدة .

وعليه فقد كانت هذه الثنائيات - بحق- نتاج تمحيص دقيق لبني اللغة [26] لذلك عدتها المدارس البنيوية التي تلت مدرسة جنييف - وفي مقدمتها الشكلانية الروسية - أساس التحليل البنيوي .

الشكلانية الروسية :

الشكلانية الروسية حركة نقدية قادها مجموعة من الطلبة الشباب * في روسيا ،تأسست عامي 1915-1916 نتيجة اتحاد تجمعين علمين هما حلقة موسكو اللغوية (M.L.K) وجمعية دراسة اللغة الشعرية التي تسمي اختصارا (اوبوجاز) (OPOJAZ) وقد كان من أهم أعضائها:

رومان جاكوبسون (Roman Jokobsson) (1896-1983) ويوري تينيانوف (Yuri Tinianov) (1894-1943) وبوريس اخنباوم (Boris Eikhenbaum) (186-1959) وفيكتور شلوفسكي (vicktor chlofsky) (1893-1984) وبوريس توماشوفسكي (boris tomachevsky) (1890-1957) .

و الشكلانية في الأصل لقب** ألصقهُ خصوم الشكلانيين بهم [27]،إذ أكدت معظم الكتب التي تناولت تاريخ هذه المدرسة أنّ النقاد الإيديولوجيين المنبهرين بالفكر الماركسي الناشئ،هم الذين نبزوا الشكلانيين بهذا اللقب ،لاعتقادهم أنّ ما جاءت به هذه الحركة من أفكار حداثية خطر عليهم ، وعلى الثورة البلشفية برمتها ،وفي هذا يقول تروتسكي

(Trotsky) "في كتابه الأدب و الثورة : إذا ما تركنا جانبا الأصداء الضعيفة التي خلّفتها أنظمة إيديولوجية سابقة على الثورة ،نجد أنّ النظرية الوحيدة التي اعترضت الماركسية في روسيا السوفياتية ،خلال السنوات الأخيرة ،هي النظرية الشكلانية في الفن".28

وأما الشكلانية *** في المفهوم الشائع فحركة نقدية "أخذت على عاتقها مهمة علمنة الدراسة الأدبية"29 انطلاقا من مبدأين اثنين هما :[30]

المبدأ الأول : وقد لخّصه جاكوبسون قائلا: "ليس الأدب هو موضوع علم الأدب وإنما هو الأدبية (létterarite) أي ما يجعل من اثر ما اثرا أدبيا " وبذلك حصروا اهتمامهم في نطاق النص .

المبدأ الثاني: ويتعلق بمفهوم الشكل، فقد رفضوا رفضا قاطعا ما كانت تذهب إليه النظرية التقليدية من أنّ لكل اثر أدبي ثنائية متقابلة الطرفين :هي الشكل والمضمون ،وأكّدوا أنّ الخطاب الأدبي يختلف عن غيره ببروز شكله.

وإضافة إلى هذين المبدأين ،فإن للشكلانيين رؤى علمية صارمة أكدوا عليها وعدوها أساس مذهبهم النقدي ،وفي مقدمتها :

- تشديدهم على الأثر الأدبي، و أجزائه المكونة، بغض النظر عن كل ما يحيط به.
- إلحاحهم على استقلال علم الأدب.[31]
- مقتهم الشديد للنزعة التأريخية التي جعلت من مؤرخي الأدب في نظر الشكلانيين أشبه "بالشرطة التي تفكر في اعتقال شخص"[32].
- عدُّهم الصورة الأدبية خلقا لرؤية خاصة بالشئ، وليست مجرد تعبير عنه أو انعكاس له.[33]
- إقصاؤهم للمعنى ، إذ ليس له في رأي الشكلانيين شأن يذكر، وفي هذا يقول جاكوبسون:(جوهريا ،نحن نتعامل مع الحقائق اللفظية وليس مع الفكر)34
- إقصاؤهم للرؤية النفسية و التاريخية و الاجتماعية إقصاء مطلقا، على اعتبار أنّ هذه الرؤى من اختصاص العلوم الإنسانية الأخرى .[35]

هذا وقد ظل الشكلانيون على منهجهم، يقاومون "النزوع الإيديولوجي" [36]طيلة عقد ونصف من الزمن (1915-1930) حيث كانت سنة 1930بداية لنهايتهم، وذلك عندما دخلوا في صراع مرير "مع الماركسية ،انتهى بجنوحهم إلى الصمت " [37] أولاً ،ثم إلى التشرذم و الانقسام ثانياً .

حلقة براغ (cercle de Prague) (1926-1948) :

بعد انهيار الشكلانية في روسيا بفعل الضغط الشيوعي ، انتقل ميراثها إلى تشيكوسلوفاكيا ، وتحديدا إلى العاصمة براغ ، حيث أسّس مجموعة من اللغويين الشباب - يؤمهم العالم التشيكي فيلام ماثيزيوس (Vilem Mathesus) - حلقة براغ اللغوية عام 1926 ، متّكئين على خبرة رومان جاكوبسون ونيكولاي تروبسكوي وسيرج كارشيفسكي (Serge Karcevski) الفارين حديثا من روسيا ، و المحمَّلين بالزاد الشكلاني الوفير .

ولاشك أنَّ هذه الخبرة التي بدأت تؤتي أُكلها ابتداء من سنة 1928 (وهو تاريخ انضمام هؤلاء الثلاثة رسميا إلى حركة براغ) ، هي التي مهَّدت - في السنة نفسها - لانعقاد أول مؤتمر دولي لعلماء اللغة في لاهاي ، شارك فيه أعضاء الحلقة بورقة بحثية ضمّت "جملة من المبادئ الهامة"38 ،سموها : (النصوص الأساسية لحلقة براغ اللغوية) ، ومن المشاركين في هذا المؤتمر زعيم الحلقة فيلام ماثيزيوس ، و رومان جاكوبسون و كارشفسكي و تروبسكوي و موكاروفسكي .

بعد هذا المؤتمر بعام واحد ، أي عام 1929 قدَّم أعضاء هذه الحلقة الجزء الأول من مجموع دراساتهم اللغوية بعنوان (الأعمال) ، "وذلك في مؤتمر فقهاء اللغة السلافيين "[39] الذي تبين من خلاله أنّ للحلقة مبادئ محددةً تقوم عليها، سنحاول حصرها في النقاط الآتية :

1- التركيز على الجانب الوظيفي للّغة ، على اعتبار أنّ البنى "النحوية والدلالية والفونولوجية للغات تُحدَّد بالوظائف المختلفة التي تقوم بها في المجتمع "[40] .
2- التأكيد على الدراسة الوصفية للّغة ، والابتعاد قدر المستطاع عن الجانب التأريخي .

3- الاهتمام بدراسة علاقة المتكلم بكلامه، أي النظر في وظيفة الكلام وكيفية التعبير عنها[41]

4- التأكيد على نظام الكلية أو الشمولية في التحليل، وذلك بأن تشمل الدراسة مستويات اللغة جميعها، الصوتية و الصرفية و النحوية و الدلالية.

5- إيلاء الشعر وعروضه عناية خاصة ،" باعتباره فنا عالميا يمكن أن يصل إلى البشر عبر الموسيقى الشعرية برغم اختلاف اللغات" [42].

هذا ويمكن أن نشير إلى أنَّ لأعضاء الحلقة فضلا وسبقا في أمرين مهمين هما:

- ابتداع مصطلح (منهج بنيوي) : إذ يعد موكاروفسكي أول عالم لساني في تاريخ النقد الحديث يستعمل هذا المصطلح ، وذلك في مداخلته التي ألقاها في مؤتمر لاهاي عام 1928 43.

- اقتحام مجال الدراسات الصوتية : إذ يعود الفضل في ذلك إلى رومان جاكوبسون الذي قدّم "أول دراسة منهجية في تاريخ الأصوات اللغوية"[44] عام 1930 .

وعليه ، يبدو جليا حجم الجهد المبذول من قبل أعضاء هذه الحلقة في سبيل علمنة الدراسة الأدبية من جهة ، والخروج بها من المأزق الشكلي الصرف الذي وضعتها فيه الشكلانية الروسية من جهة أخرى.

المدرسة الفرنسية:

يعتقد ليونارد جاكسون (Leonard Jackson) – في لفتة غريبة - أنَّ الظهور الحقيقي للبنيوية الفرنسية كان في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1942 ، عن طريق اللغوي الروسي رومان جاكوبسون ، الذي عرَّف – في إحدى محاضراته بنيويورك – بأعمال البنيوي الفرنسي كلود ليفي شتراوس 45 ، حيث كان هذا التعريف أوَّل إشارة حقيقية إلى ظهور مدرسة بنيوية في فرنسا.

غير أنَّ معظم النقاد يعتقدون خلاف ما ذهب إليه جاكسون ، إذ يؤرخ اغلبهم لظهور البنيوية الفرنسية بمرحلة الستينيات من القرن الماضي ، حيث بدأ النقد البنيوي يتبلور تدرجيا ، وبخاصة في مجال الدراسات التطبيقية46، التي اهتمت بها جماعة (تل كل)

(tel quel)، هذه الجماعة التي أخذت تسميتها من مجلة نقدية أسسها الروائي الفرنسي فيليب صولر (Philipe Sollers) عام 1960، و التي " ضمت عصبة من رموز النقد الفرنسي الجديد، كزوجته ذات الأصل البلغاري جوليا كرستيفا (Julia kristuva) و رولان بارت و ميشال فوكو و جاك دريدا (Jacques Derrida)"47.

و يبدو أنَّ تأخر ظهور البنيوية في فرنسا إلى هذا التاريخ، يعود بالأساس إلى تأخر ترجمة كتب الشكلانيين الروس، التي هي في الأصل مصدر هذا المنهج بعد محاضرات دي سويسر، إذ لم يعرف الفرنسيون الشكلانية على حقيقتها إلا بعد صدور الكتب الآتية:

1- كتاب "اللغة الأساسية للبنيوية و ما بعدها" لصاحبه رومان جاكوبسون حيث تُرجم إلى الفرنسية أول مرة عام 1963.

2- كتاب "نظرية الأدب" (théorie de la littérature) لصاحبه تزفيتان تودوروف (Tzvetan Todorov) ، و هو مؤلف جمع فيه جملة من النصوص الروسية وترجمها إلى الفرنسية عام 1965.

3- كتاب "مورفولوجيا الحكاية" (morphologie de conte) لصاحبه فلادمير بروب (Vladimir Propp) ، حيث تُرجم إلى الفرنسية عام 1970.

بعد صدور هذه المؤلفات (و بخاصة الأول و الثاني)، عجّت الساحة النقدية في فرنسا بكتب النقد البنيوي، و أصبحت البنيوية شعار تلك الحقبة بلا منازع، فذاع صيت كثير من النقاد، حتى أصبحت أسماؤهم لصيقة بالبنيوية، من أمثال: رولان بارت، و تزفتان تودوروف و جوليان غريماس (*Julien Greimas*)، و جاك دريدا، و جوليا كرستيفا، و جيرار جينيت (Gérard Genette) .

غير أن الغريب في قصة البنيوية في فرنسا أنَّها لم تعمّر طويلا، إذ لم يدم عمرها أكثر من عقد من الزمن، فمع بداية نهاية العقد السادس أخذت البنيوية في الانهيار، و طفق النقاد يتبرؤون منها الواحد تلو الآخر **، و لعل ثورة عام 1968 - التي هتف فيها الطلبة "ضد البنيوية، و رفعوا شعار (فلتسقط البنيوية)"48 -كانت المسمار الأخير الذي دُق في نعش هذا المنهج.

هذا ونشير إلى أنّ للبنيوية - إضافة إلى ما ذكرنا- روافد أخرى، كان لها أثر واضح في مسار هذا المنهج مثل حلقة كوبنهاغن التي تأسست عام 1931، بزعامة كل من برووندال (Brondal) و يلمسليف (Hjelmslev) ، و حلقة نيويورك التي ظهرت عام 1934 من خلال آراء و تنظيرات كل من سابير (Sapire) و بلومفيلد .(Bloomfield)

الهوامـــــش و المراجـــع

1 -ليبونارد جاكسون ، بؤس البنيوية : الأدب النظرية البنيوية ، تر: ثائر ديب ،منشورات وزارة الثقافة ،سوريا ،ط1،2001 ،ص:43 .

2 -صلاح فضل ، نظرية البنائية في النقد الأدبي ،منشورات دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان،ط2، 1980، ص:24.

3- ينظر :يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي ، جسور للنشر و التوزيع ،الجزائر ،ط1، 2007،ص،65.

4 -فوزية لعيوس غاري الجابري، التحليل البنيوي للرواية العربية ، دار صفاء للنشر و التوزيع ، عمان الأردن ،ط1، 2011،ص:35.

5- المرجع نفسه ، ص 36

6 -بشير تاوريريت ،محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر،دار الفجر للطباعة والنشر ،مكتبة اقرأ ،قسنطينة ، الجزائر ، ط1 ،ص:17

7 -عبد الملك مرتاض ،في نظرية النقد ،دار هومة للنشر و التوزيع ،الجزائر ،ط1، 2002،ص:192.

8 -ينظر : عمر مهيبل ،البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ، ط2 ، ص: 53-55

9 -المرجع نفسه ،ص :52.

*للاستزادة في هذا الموضوع ، ينظر : المرجع السابق ، ص،:54 وما بعدها

10- وائل سيد عبد الرحيم ،تلقي البنيوية في النقد العربي ،دار العلم و الإيمان للنشر و التوزيع ،مصر ط1،2009،ص34.

11- إبراهيم رماني، أسئلة الكتابة النقدية ،المؤسسة الجزائرية لطباعة و النشر، الجزائر ط1،1992،ص47.

12- ميشيل فوكو (البنيوية التحليل الأدبي) ، تر : محمد الخماسي، مجلة العرب و الفكر العالمي، بيروت، لبنان، العدد الأول ،شتاء 1988،ص15.

13-جون ستروك ،البنيوية وما بعدها ،تر:محمد عصفور ،عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأدب ،الكويت ،فبراير 1996،ص9.
14- ميشيل فوكو ،المرجع السابق،ص:47.
15- أديث كيرزويل ،عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو ،تر،جابر عصفور ،دار أفاق عربية ،بغداد العراق ،1985،ص.289.
16- رولان بارت ،مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص ،تر،مندر عياشي مركز الإنماء الحضاري ،ط1993،1،ص:27.
17-عبد الملك مرتاض، المرجع السابق ،ص .192.
18-محمد سالم سعد الله، الأسس الفلسفية لنقد ما بعد البنيوية ،دار الحوار للنشر والتوزيع ،اللاذقية سوريا، ط2007،1، ص 28.
19- عبد العزيز حمودة المرايا المحدبة ،عالم المعرفة ،المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأدب ،الكويت ،ط 1، 1998،ص :15.
20-فوزية لعيوس غازي الجبري ،المرجع السابق ،ص :42.
21-التواتي بن التواتي ،المدارس اللسانية في العصر الحديث مناهجها في البحث ، دار الوعي للنشر و التوزيع ، الجزائر ،(د.ط)2008 ،ص 04.
22- نعمان بوقرة ، المدارس اللسانية المعاصرة ، مكتبة الآداب ،القاهرة ،مصر ، (د.ط) ، 2004 ،ص 73.
*نسبة إلى الفلكي البولندي نيكولاي كوبورنيكوس (1473-1543) ، الذي احدث ثورة في علم الفلك بأكتشافه أن الأرض هي التي تدور حول الشمس وليس العكس ، وذلك في كتابه (في ثورات الأجواء السماوية) ،ينظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، من خلال الرابط الأتي : http://ar.wikipedia.org/wiki تاريخ الدخول : 29-07- 2012 في الساعة 12:30 .
23- Ferdinand de Saussure, cours de linguistique générale, éditions talantikite bejaia, Algérie, 2002,p 22

24-IBID ,p :15.

**يستعمل كثير من النقاد مصطلح (استبدال) بدل (اقتران) رغم أنَّ دي سوسير- حسب ليونارد جاكسون – لم يستعمل هذا المصطلح مطلقا ،"إنما نُسِب إليه كذبا" (ليونارد جاكسون بؤس البنيوية ص 89).

25 -نعمان بوقرة ،المدارس اللسانية المعاصرة ، ص :81.

26-ينظر ،المرجع نفسه ،ص :76.

*لم يتعد سن أغلبهم العشرين سنة.

**لا يكون اللقب في كلام العرب إلا للقدح أو المذمة،و مما يثبت ذلك قول الله تعالى:" *وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ*" و قول الشاعر:

أُكَنِّيهِ حِينَ أُنَادِيهِ لِأُكْرِمَهُ وَ لَا أُلَقِّبُهُ وَ السَّوءَةُ اللَّقَبْ.

27-تودوروف و آخرون، نظرية المنهج الشكلي، تر:إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، المغرب، ط1982،1،ص9.

28-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

29-الولي محمد، مقدمة: الشكلانية الروسية ، تر:الولي محمد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب، بيروت، ابنان: ط2000،1،ص05.

30- ينظر تودوروف و آخرون، المرجع السابق، ص 10.

***يسمي الشكلانيون انفسهم (المورفولوجين) وهو الاسم الذي اختاره إخنباوم، (ينظر احمد بوحسن ،في المناهج النقدية المعاصرة ،دار الأمان للنشر والتوزيع الرباط ، المغرب، ط 1، 2004،ص95.

31-ينظر :فيكتور ايرليخ ،الشكلانية الروسية ، تر:الولي محمد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب، بيروت، لبنان، ط1،2000،ص 14.

32-تودوروف وآخرون ،المرجع السابق، ص 35.

33-شايف عكاشة ،نظرية الأدب في النقدين الجمالي و البنيوي في الوطن العربي ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، (د.ط) ،1998 ، ج 3، ص 5.
34- ينظر :وليد قصاب ، مناهج النقد الأدبي الحديث رؤية إسلامية ،دار الفكر ،دمشق ،سوريا ،ط 1، 2007،ص 110.
35-محمد عبيد صالح السبهاني ،المكان في الشعر الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة ،دار الأفاق العربية ، القاهرة ،مصر، ط 1، 2007،ص 34.
36- صلاح فضل ، مناهج النقد المعاصر ، إفريقيا الشرق ،الدار البيضاء ، المغرب ، بيروت، لبنان ، (د.ط) ،2002،ص 70.
37-يوسف وغليسي ،النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية ، إصدارات رابطة إبداع ، الجزائر ، ط 1 ، 2002 ، ص 118.
38- صلاح فضل ، نظرية البنائية في النقد الأدبي ، ص 108.
39-فيصل الأحمر و نبيل دادوة ، الموسوعة الأدبية ، دار المعرفة ، الجزائر ، ط 1 ، 2009 ، ج 2 ، ص 378.
40-احمد مومن ، اللسانيات النشأة و التطور، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، (د.ط) ، 2002 ،ص 136.
41-محمد الصغير بناني ، المدارس اللسانية في التراث وفي الدراسات الحديثة ، دار الحكمة ، الجزائر ، ط 1، 2001، ص 60.
42- فيصل الأحمر و نبيل دادوة ،المرجع السابق ، ص383.
43-مؤيد عباس حسين ،البنيوية ، ص67 .
44- صلاح فضل ، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص 108.
45- ليونارد جاكسون ، (بنيوية جاكوبسون ، التأسيس و الاستدراك) تر: إبراهيم خليل ، مجلة الحوار المتمدّن الالكترونية ، العدد 181 ، سنة 2002، ينظر الموقع الالكتروني الأتي : http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=2027
46-ينظر : جمال شحيد ، في البنيوية التكوينية ، دراسة في منهج لوسيان غولدمان ، دار

ابن رشد للطباعة و النشر ، بيروت لبنان ، (د.ط) ، 1986 ، ص 141.

*و تعني باللغة العربية (كما هو) أو (كما يرد) أو(مثلما هو).

47-يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي،ص69.

**و من أمثال هؤلاء: رولان بارت و جاك دريدا و جوليا كرستيفا و معظم جماعة (تل كل) (ينظر بشير تاوريريت: محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر،ص82 وما بعدها).

48- فخري صالح، آفاق النظرية الأدبية المعاصرة، بنيوية أم بنيويا، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، ط2007،1،ص61.